

آفات اللسان

الوقاية والعلاج

د. قاسم توفيق قاسم خضر

إمام وخطيب ومدرس في وزارة الأوقاف الفلسطينية

ومشرف أكاديمي غير متفرغ

جامعة القدس المفتوحة

فلسطين

٢٠١١م

مقدمة:

الأمراض الاجتماعية متعددة متنوعة بتعدد وتنوع المجتمعات والثقافات؛ ولكل مرض أسبابه، وأخطر هذه الأمراض وأشدها فتكاً تلك التي منشؤها تلوث اللسان؛ وذلك لسببين، هما:

أولاً: سهولة النطق بالكلمة؛ فهي لا تحتاج إلى عناء أو مشقة.

ثانياً: تعدد الأمراض الاجتماعية الناتجة عن تلوث اللسان؛ فاللسان يلوّثه الكذب والغيبة والنميمة والبذاءة والتشّوق، وغيرها، ولكل واحدة من هذه الآفات آثار اجتماعية مدمرة.

وفي هذا البحث محاولة للكشف عن أسباب المرض لتسهيل الوقاية منها، أو وصف العلاج لمن وقع فيها، سعياً وراء مجتمع نظيف سليم من الأوبئة والآفات التي تُرهقه؛ فالحياة الجميلة لا تكون في مجتمع مريض. وتظهر أهمية البحث في الفرق الشاسع بين المجتمع المريض، والمجتمع السليم المُعافى¹؛ ويظهر الفرق في نسبة السعادة والراحة النفسية

¹ ويشهد لهذا المعنى ما رواه الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ الَّذِي يُخَالِطُ الصَّالِحِينَ السَّعْدَاءِ مِنْ أَهْلِ الذَّكَرِ، وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنْمَاءً جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْفَى لَهُمْ جَلِيسٌ" [سنن الترمذي ت شاكر، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ مَا جَاءَ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ (٥٧٩/٥) رقم (٣٦٠٠)، وقال: حديث حسن صحيح]، وَفِيهِ نَفْيٌ لِلشَّقَاءِ عَنْ جَلِيسِ السَّعْدَاءِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْعُدُ بِمَخَالَطَتِهِ السَّعْدَاءِ، وَيَتَعَبُ مِنْ مَخَالَطَةِ الْأَشْقِيَاءِ، وَهَكَذَا تَكُونُ الْعَلَاqَةُ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ سَعَادَةً أَوْ شَقَاءً.

والطمأنينة، وما تعكسه على الإنتاج والإبداع والتطور والازدهار في شتى مناحي الحياة؛ فالمرض يعني قلة الكفاءة وضعف الفاعلية، الناتج عن القلق والاضطرابات، وتبعثر الجهود، وانعدام القدرة على التركيز.

وللوصول إلى البُغْيَةِ كان منهج البحث النَّظَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ فِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ، ثُمَّ فِي أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ثُمَّ النَّظَرُ بِمَا كَتَبَهُ وَخَطَّه الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا سَوَاءَ كَانُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ.

تمهيد:

اللسان ترجمان القلب؛ وآفاته إفراز لما في القلب من أمراض، وأعراض لها؛ فالقلب إناء، واللسان ينضح بما فيه، وعلاج المرض يقتضي القضاء على جذوره، لا الانشغال بأعراضه، وبلغة العصر فإن آفات اللسان نتاج ثقافة سقيمة، وتصورات بانسة، ووعي مشلول.

ولهذا فإن منع تلوث اللسان يعني قطعاً منع تلوث المورد، ويحتاج هذا لمعالجة ثقافية واسعة النطاق، وإحياء التصورات الصحيحة، وبعث الوعي من جديد؛ فهي عملية مركبة ذات علاقات متشعبة كان اللسان على وصفها دليلاً وبرهاناً.

وعادة اللسان من أجل العبادات وأعظمها، ليسرّها وسهولتها على العباد؛ روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ".

ولكن قد يعرض لها من الآفات ما يهدم العبادة كلها، ويهوي بالعبد في النار. وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته، روى الترمذي عن معاذ بن جبل قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي

عَنِ النَّارِ. قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ^٣، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ"، ثُمَّ نَلَا: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ". قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ - أَيَّ مَا بِهِ إِحْكَامُ الشَّيْءِ وَتَقْوِيَتُهُ، أَيُّ بِمَا تَقُومُ بِهِ تِلْكَ الْعِبَادَاتُ جَمِيعُهَا - ذَلِكَ كُلُّهُ". قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ لِسَانَهُ. قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا؛ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ. فَقَالَ: "تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السَّنَنِهِمْ" [قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ]، وَالْمَعْنَى لَأَ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ السَّنَنِهِمْ مِنَ الْقَذْفِ وَالشَّتْمِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبُهْتَانِ وَنَحْوِهَا، وَهَذَا الْحُكْمُ وَارِدٌ عَلَى الْأَغْلَبِ أَيُّ عَلَى الْأَكْثَرِ، لِأَنَّكَ إِذَا جَرَّبْتَ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا حَفِظَ لِسَانَهُ عَنِ السُّوءِ إِلَّا نَادِرًا^٤.

^٣ روى ابن ماجه - وصححه الألباني - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: "مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟" قَالَ: أَتَشْهَدُ، ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ دَنْدَنَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ؛ فَقَالَ: "حَوْلَهَا دَنْدَنٌ"، والدندنة أن يتكلم الرجل بكلام يسمع نغمته ولا يفهم.

^٤ انظر: تحفة الأحوذى مع بعض التصرف (٤١٥/٦).

^٢ ومثال ذلك ما قاله ابن المسيب حين رأى رجلاً يعبث بالحصي: "إِنِّي لَأَرَى هَذَا، لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ" [معرفة السنن والآثار، كتاب الصلاة، باب مسح الوجه من التراب (٢٠٣/٣) رقم (٤٢٧٥)].

ومما يدلُّ على عظم منزلة اللسان ما رواه البخاري عن سهل بن سعدٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ - جَانِبِي الْفَمِ وَالْمُرَادُ بِمَا بَيْنَهُمَا اللِّسَانُ وَمَا يَتَأَتَّى بِهِ النُّطْقُ - وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ"، و"الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَى لِسَانِهِ مِنَ النُّطْقِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، أَوْ الصَّمْتَ عَمَّا لَا يَعْنيهِ، وَأَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَى فَرْجِهِ مِنْ وَضْعِهِ فِي الْحَلَالِ وَكَفَّهِ عَنِ الْحَرَامِ"^٥ دخل الجنة.

ومن ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس قال: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَذْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ - أَيِ التَّكَلُّمِ عَلَى وَجْهِ الْحُرْمَةِ كَالْمَوَاعِدَةِ - وَالنَّفْسُ تَمْنَى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ".

وعدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه، والدليل ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"، أي "كف عنهم، لا يذكرهم إلا بخير، ولا يسب ولا يفتاب ولا ينم ولا يحرش بين الناس؛ فهو رجل مسالم إذا سمع السوء حفظ لسانه"^٦.

ومن أطلق لسانه كان من المفلسين، روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟". قالوا: الْمُفْلِسُ

فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ؛ فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضْرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ؛ والمؤمن مبرأ من كل هذا الزلل.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"، وبنحو ذلك روى أحمد - بإسناد جيد - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَبُّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرَبُّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ"، وفي رواية ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَبُّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرَبُّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ" [قال الألباني: حسن صحيح]، أي ليس لصومه قبول عند الله فلا ثواب له.

وروى الترمذي عن عُبَيْدَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ" [قال أبو عيسى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ]، أي احفظ لسانك عما لا خير فيه؛ فلا نجاة لمن لم يحفظ لسانه.

وقد أحسن الإمام الشافعي، رحمه الله، حين قال:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى *** ودينك موفور وعرضك صيّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئ *** فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معاييباً *** فدعها وقل : يا عين للناس أعين

^٥ فتح الباري (٣٠٠/١٨).

^٦ رياض الصالحين (٢٧٤/١).

وروى الترمذي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَفَعَهُ قَالَ: **"إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا"** [قال الألباني : حسن]، ومعنى "تكفر اللسان تَذَلُّ وتَوَاضَعُ لَهُ؛ فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"** [رواه البخاري ومسلم]. قُلْتُ: اللِّسَانُ تُرْجَمَانُ الْقَلْبِ وَخَلِيفَتُهُ فِي ظَاهِرِ الْبَدَنِ، فَإِذَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ فِي الْحُكْمِ، وَقَدِيمًا قَالُوا: الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ".⁷

وروى الترمذي عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: **"قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِم"**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: **"هَذَا"** [قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح]، أَي هَذَا أَكْثَرُ خَوْفِي عَلَيْكَ مِنْهُ.

وباللسان يعذبُ الله أو يرحمُ، روى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَةٍ⁸؛ فَقَالَ: **"أَفْدُ قَضَى؟"** قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا، فَقَالَ: **"أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا"** - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - **"أَوْ يَرْحَمُ"**.

⁷ تحفة الأحوذى (١٩٧/٦) مع بعض التصرف.

⁸ أي "الغاشية"، وهي الدَّاهِيَةُ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مِنْ مَرَضٍ أَوْ مِنْ مَكْرُوهِ فَتَحَ الْبَارِي.

يقول تعالى: **"وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ"**.

لا ينبغي للمسلم أن يستهين بالكلمة؛ فالكلمة ترفع وتخفض. روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا - أَي لَا يَتَأَمَّلُهَا بِخَاطِرِهِ وَلَا يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَتِهَا وَلَا يَظُنُّ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ شَيْئًا" - يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي - أَي يَنْزِلُ فِيهَا سَاقِطًا⁹ - بِهَا فِي جَهَنَّمَ"**.

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَنْبِئُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ"**. ثُمَّ لَيْسَ كُلُّ مَا يُسْمَعُ يُقَالُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يُقَالُ صَحِيحٌ، وَدَلَّ عَلَى هَذَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"**.

وبعد هذه التمهيد الدال على عظيم شأن اللسان، أبدأ باستعراض أهم أمراضه وآفاته، فإن بيان الباطل وأسبابه تساعد على اجتنابه والاحتراز منه؛ فالقرآن الكريم أبان سبيل المجرمين كما أبان سبيل المؤمنين، يقول تعالى: **"وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"** [النساء: ١١٥]، ويقول تعالى: **"وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ"** [الأنعام: ٥٥].

⁹ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١١/١١).

¹⁰ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١١/١١).

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

١ - الثَّرَثَةُ وَكَثْرَةُ الْكَلَامِ

مدح الله عباده الذين يُمسكون عما لا فائدة فيه، ولو كان مباحاً؛ فقال تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ"، وقال تعالى: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"، وروى الترمذي عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسَ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي" [قال أبو عيسى هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ]؛ فإن من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه فهو في النار" ^{١١}؛ فقد روى الترمذي عن أمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُلُّ كَلَامٍ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَأَ لَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرٍ لِلَّهِ" [قال أبو عيسى هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ]، أي "يُكْتَبُ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْتَبُ لَهُ" ^{١٢}.

ودلَّ على هذا المعنى:

ما رواه الترمذي عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَنْعِيهِ" [قال أبو عيسى هذا حديثٌ غريبٌ، وقال الألباني : صحيح].

وما رواه أحمد والترمذي عن عبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ صَمَتَ نَجًّا" [قال الألباني : صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط : حسن].

وما رواه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"، وقديما قالوا: الصمت حكمة، وقليل فاعله.

٢ - الْهَمْزُ وَاللَّمْزُ

يقول تعالى: "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ" [الهمزة: ١]، ويقول سبحانه: "وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ" [الحجرات: ١١]، يقول ابن كثير: "والهمَّاز اللَّماز مذموم ملعون"، ومعنى اللهمز واللمز ازدراء الناس وانتقاصهم باللسان والعين، وأكل لحومهم، والطعن عليهم، وقد حذرنا سيدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ذلك أشد التحذير.

روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. النَّقْوَى هَا هُنَا". وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ"، وروى الترمذي عن ابنِ

¹¹ فيض القدير (٢٥١/١).

¹² تحفة الأحوذى (٢٠٢/٦) مع بعض التصرف.

عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضْ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تُتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ" [قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَالَ الْأُبَانِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ].

وفي المقابل فإنَّ السُّنَّةَ على المسلمين من أعظم القربات عند الله. روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" [قال الألباني: صحيح]، وروى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحْهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ" [قال الألباني: صحيح].

٣- الْفُحْشُ وَالْبِدَاعَةُ وَالشَّتْمُ

بعض الناس يُطلق لسانه العنان يسبُّ ويشتمُّ، ويقع في عرض الناس، ولا يدري أنَّ مَالَ ذَلِكَ الْإِفْلَاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟". قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ؛ فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ

قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"، فاحذر أشد الحذر من الوقوع في مهالك اللسان، وموارد النيران.

وروى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"، وَالسَّبَابُ هُوَ أَنْ يَقُولَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ وَمَا لَيْسَ فِيهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ عَيْنَهُ، وَالْفُسُوقُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْعِصْيَانِ، وَسَمَاءُ كُفْرًا لِأَنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِ مِنْ شَأْنِ الْكَافِرِ، وَروى البخاري ومسلم عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ"، لِأَنَّ الْقَاتِلَ يَقْطَعُهُ عَنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا، وَهَذَا يَقْطَعُهُ عَنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: مَعْنَى لَعْنِ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ فِي الْإِثْمِ، وَهَذَا أَظْهَرُ.

ومن الأخلاق المذمومة خلق الفحش والتفحش لما رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَسٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: "وَعَلَيْكُمْ". قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَهْ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ".

والمسلم من سلم لسانه من الكوارث المهلكات، روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ" [قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ]، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَدْبِرُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ؛ فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً. فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ

إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَبَّرَتْهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبَّوْا آبَاءَهُ وَأُمَّهُ. قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَأَطَعُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَالْيَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ".

٤ - التَّعَرُّفُ فِي الْكَلَامِ وَالتَّشَدُّقُ فِيهِ

وهؤلاء هم الثَّرَثَارُونَ الذين يُكْثِرُونَ الْكَلَامَ تَكْلُفًا، وَالْمُتَشَدِّقُونَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِمِلَّةٍ أَشْدَقَهُمْ تَفَاصُحًا، وَالْمُتَفَيِّهُونَ الَّذِينَ يَمْلَأُونَ أَفْوَاهَهُمْ بِالْكَلَامِ وَيَتَوَسَّعُونَ فِيهِ إِظْهَارًا لِفَصَاحَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ وَاسْتِعْلَاءً عَلَى غَيْرِهِمْ^{١٣}، وَلِهَذَا فَسَرَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُتَكَبِّرِ، كَمَا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْفِيَامَةُ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قَالَ: "الْمُتَكَبِّرُونَ" [قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ]، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَيَكُونُ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ،

^{١٣} انظر: شرح السنة للبغوي (٣٦٧/١٢).

وَيَشْرَبُونَ أَلْوَانَ الشَّرَابِ، وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ اللِّبَاسِ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي" [قال الألباني: حسن، وانظر حديث رقم: ٣٦٦٣ في صحيح الجامع].

وهؤلاء صنف من أهل النار، روى البخاري عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ - وَالْمُرَادُ بِالضَّعِيفِ: مَنْ نَفْسُهُ ضَعِيفَةٌ لِتَوَاضُعِهِ وَضَعْفِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُتَضَعِّفُ الْمُحَقَّرُ لِحُمُولِهِ فِي الدُّنْيَا^{١٤} - لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطٍ - أَيِ الْفَطَّ الْغَلِيطِ - مُسْتَكْبِرٍ"، وَرَوَى نَحْوَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَاطُ وَلَا الْجَعْظَرِيُّ" [قال الألباني: صحيح]، وَهُوَ الَّذِي يَتَمَدَّحُ وَيَنْفُخُ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

وأصل المرض الإعجاب بالنفس، لما رواه الترمذي عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ - أَيِ يُعْلِي نَفْسَهُ وَيَرْفَعُهَا وَيُبْعِدُهَا عَنِ النَّاسِ فِي الْمَرْتَبَةِ وَيَعْتَقِدُهَا عَظِيمَةَ الْقَدْرِ - حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ" [قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ]، أَيِ يُكْتَبُ فِي دِيْوَانِ الظَّالِمِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ أَوْ مَعَهُمْ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ؛ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ بَلِيَّاتِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِ الْعُقُبَى^{١٥}.

^{١٤} انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦٦٣/٨)، ومثله ما رواه الترمذي عن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ" [قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ]، أَيِ أَيِّ صَاحِبِ ثَوْبَيْنِ خَلَقَيْنِ.

^{١٥} انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١١٧/٦).

٥- كَثْرَةُ الْمَزَاحِ بِالْأَفَاطِ قَبِيحَةٌ

لا يجوز الإفراط في المزاح، ولا الكذب فيه، ولا أن يستعمل ألفاظاً قبيحة، ولا أن يوقع ضرراً معنوياً أو مادياً، لأن ذلك يسقط الوفاق، ويوجب الضغائن والأحقاد، أما المزاح اليسير النزيه فإنه لا بأس به، لأن فيه انبساطاً وطيب نفس، وكان النبي يمزح ولا يقول إلا حقاً، روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنّا. قال: **"إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا"** [قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح].

ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم ما رواه الترمذي عن أنس بن مالك أن رجلاً استحمّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **"إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَدِّ النَّاقَةِ"**، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ؟"** [قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب]، ومنه ما رواه الترمذي عن أنس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى إن كان ليَقُولُ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: **"يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ؟"** [قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح]، والنغير هو العصفور صغير المنقار أحمر الرأس.

ومنه ما رواه النسائي عن شرحبيل بن السمط قال: لكعب بن مرة يا كعب حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذر. قال: سمعته يقول: **"ارْمُوا، مَنْ بَلَغَ الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً"** قال ابن النحّام: يا رسول الله، وما الدَّرَجَةُ؟ قال: **"أَمَّا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَنْبَةٍ أَمْكٍ، وَلَكِنْ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةٌ عَامٍ"** [قال الألباني: صحيح].

فديننا لا يحرم المزاح والمداعبة، وإنما يجعل له ضوابط تجعله لا يخرج عن حد المتعة إلى الإفساد، ومن تلك الضوابط أن لا يكون المزاح إلا بالحق كما بينا، روى أبو داود عن بهز بن حكيم قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ"** [قال الألباني: حسن]، ثم لا يُكْثِرُ من المزاح، ولا يتلفظ بالبديء من الكلام، وقد قدمنا نهْيَ الشرع عن الفحش والبذاءة.

ومن ضوابط المزاح ما رواه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"** [قال الألباني: صحيح].

ومع كل هذه الضوابط فإن الإكثار من المزاح والضحك تتنافى مع جدية الرسالة التي يحملها المسلم؛ فلا يكون المزاح إلا بمقدار الملح للطعام، روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟"** فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: **"اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنِ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تَكْثِرْ الضَّحْكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ"** [قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وقال الألباني: صحيح].

والترويح فرغ لا أصل، ومقصده إعانة المسلم على القيام والنهوض برسالته، روى مسلم عن حنظلة الأسدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت نافق حنظلة. قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما ذاك؟". قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات نسينا كثيرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة". ثلاث مرات.

٦- الكذب

وهو خلق ذميم مأل صاحبه إلى النار. روى البخاري ومسلم عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الصدق يهدي إلى البر - أي إلى فعل الخير، وهو اسم جامع للخيرات كلها - وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور

- هو اسم جامع للشر كله - وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"، والمراد بالكتابة الحكم عليه بذلك.

والكذب من علامات النفاق، روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"، وفي رواية له عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر"، ومعناه أن هذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين ومخلق بأخلاقهم؛ فصار صاحب هذه الخصال كالمنافق.

والكذب محظور ولو فيما يراه الناس هينا، روى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تحلم - أي قال إنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب - بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل"، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، وإنما كان الكذب في المنام كذبا على الله لحديث "الرؤيا جزء من النبوة"، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى.

والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع، ولكن لا يزال يعذب ويقال: لا بد أن تعقد بينهما، وهذا وعيد يدل على أن التحلم بحلم لم يره الإنسان من كبائر الذنوب، وهذا يقع من بعض السفهاء، يتحدث ويقول: رأيت البارحة كذا وكذا؛ لأجل أن يضحك الناس وهذا حرام عليه، وأشد من ذلك أن يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

وقال لي كذا وكذا وما أشبه ذلك، فإنه أشد وأشد، لأنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم^{١٦}.

وقريباً من هذا المعنى ما رواه البخاري عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفَرَى أَنْ يُرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَ"**، والفرية الكذبة العظيمة التي يتعجب منها.

وللكذب رائحة ننته عفة، روى الترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلِكُ مِثْلًا مِنْ نَتْنٍ مَا جَاءَ بِهِ"** [قال أبو عيسى هذا حديث حسن جيد غريب]، أي من عفونته، وهو صورة مؤثرة تدل على انحطاط الكذابين.

ومن مفاخر هذا الدين أنه نهى عن الكذب حتى على الأطفال، وفي هذا درس تربوي لأولياء الأمور، روى أبو داود عن عبد الله بن عامر أنه قال: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيهِ؟"** قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَمَّا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُنْتِ بِكَ كَذْبَةٌ"** [قال الألباني: حسن].

واعلم أن أخطر الكذب وأسوأه شهادة الزور واليمين الغموس، لما رواه البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟"** قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **"الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ"**، وكان مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: **"أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ"**، فَمَا زَالَ

يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ. وَشَهَادَةُ الزُّورِ هِيَ الشَّهَادَةُ بِالْكَذِبِ لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الْبَاطِلِ مِنْ إِتْلَافِ نَفْسٍ أَوْ اخْتِذَا مَالٍ أَوْ تَحْلِيلِ حَرَامٍ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ، فَلَا شَيْءَ مِنَ الْكِبَائِرِ أَعْظَمَ ضَرَرًا مِنْهَا، وَلَا أَكْثَرَ فَسَادًا بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ.

ويلحق بشهادة الزور من حيث الإثم والسوء اليمين الغموس، لما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْكِبَائِرُ؟ قَالَ: **"الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ"**. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **"ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ"**. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **"الْيَمِينُ الْغَمُوسُ"**. قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؟ قَالَ: **"الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ"**، وفيه تغليظ إثم الكذب الذي يأكل به حق مسلم، ويؤكد هذا ما رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"**. قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا. مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **"الْمُسْبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ"**، لأنه بالكذب يأكل مال المسلمين، ويدلس عليهم.

فالويل كل الويل، والثبور كل الثبور لمن سولت له نفسه وأغواه الشيطان؛ فزین له أكل الحقوق بالحلف الكاذب والتدليس، روى مسلم عن أبي أمية أن رسول الله قال: **"مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"**. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **"وَإِنْ قُضِيَ مِنْ أَرَاكَ"**.

¹⁶ انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/١٧٨٦).

المراء والمماراة: الجدال، وهو مصدر ماري، وهو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقيق الغير^{١٧}.

والمراء ضلال لا رشد فيه، فقد روى الترمذي عن أبي أمامة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَلَ"، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ "مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" [قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ]، وَالْمَعْنَى مَا كَانَ ضَلَالَتُهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ عِنَادًا أَوْ جُحُودًا.

وصاحبه أبغض الخلق إلى الله؛ فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِمُ"، وَالْأَلَدُ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا أُحْتَجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي جَانِبٍ آخَرَ، وَأَمَّا "الْخَصِمُ" فَهُوَ الْحَادِقُ بِالْخُصُومَةِ.

والعلة الكامنة خلف المراء هي التعصب للترويج للمذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة، لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف الحقيقة، روى أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ" [قَالَ الْأَبَانِي: صَحِيحٌ]. أي غضبه الشديد حتى يقلع عما هو عليه، وهذا وعيد شديد، ولذلك عده الذهبي من الكبائر^{١٨}.

^{١٧} انظر: التعاريف (٦٤٧/١)، والتعريفات (٢٦٦/١).

^{١٨} فيض القدير (٩٤/٦).

لهذا كله كان ترك المراء من أسباب الفلاح، روى أبو داود عن أبي أمامة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا زَعِيمٌ بَيِّتٍ فِي رِبَاضِ الْجَنَّةِ - أي حوالي الجنة وأطرافها - لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيِّتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيِّتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ" [قَالَ الْأَبَانِي: حَسَنٌ]، أَي تَرَكَ الْجِدَالَ كَسْرًا لِنَفْسِهِ كَيْلًا يَرْفَعَ نَفْسَهُ عَلَى خَصْمِهِ بِظُهُورِ فَضْلِهِ.

وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ^{١٩} بُنِيَ لَهُ فِي رِبَاضِ الْجَنَّةِ - أي أُنْشِئَتْ لَهُ - وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسْطِهَا، وَمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا" [قَالَ: وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ].

وروى ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ؛ فَكَانَمَا يُفَقُّ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ^{٢٠}؛ فَقَالَ: "بِهَذَا أَمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ بِهَذَا هَلَكْتَ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ" [قَالَ الْأَبَانِي: حَسَنٌ صَحِيحٌ]، وَيُؤْيِذُهُ مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تُمَارُوا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ" [قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ مُوثِقُونَ].

وروى البخاري عن جندب قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ"، أَي مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا لِيَرَاهُ النَّاسُ

^{١٩} جملة معترضة بين الشرط والجزاء للتفكير عن الكذب.

^{٢٠} أي فغضب فاحمر وجهه من أجل الغضب احمرارا يشبه فقئ حب الرمان في وجهه.

فِي الدُّنْيَا يُجَازِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ بِأَنْ يُظْهَرَ رِيَاءُهُ عَلَى الْخَلْقِ، وَمَعْنَى " سَمِعَ اللَّهُ بِهِ " أَي يَفْضَحُهُ وَيُظْهَرُ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ.

٨ - الغيبة

وهي من أسوأ الآفات وأخطرها لما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اتَّذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟". قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ". قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَابْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ"، وَحُكْمُ الْكِنَايَةِ وَالْإِشَارَةِ مَعَ النِّيَّةِ كَذَلِكَ؛ فكل حركة أو إشارة أو إيماة أو تمثيل أو كتابة في الصحف أو على الإنترنت، أو أي شيء يفهم منه تنقص الطرف الآخر؛ فكل ذلك حرام داخل في معنى الغيبة، والإثم يزداد بحسب الملاء وكثرتهم الذين يذكر فيهم المغتاب.

وقد نهى الله سبحانه عن هذه الآفة، وحذر منها أشد التحذير، يقول تعالى: "وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ".

²¹ لَكِنْ تُبَاحُ الْغَيْبَةُ لِغَرَضٍ شَرْعِيٍّ، وَذَلِكَ لِسِتَةِ أَسْبَابٍ: أَحَدُهَا التَّظَلُّمُ؛ فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْقَاضِي وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ لَهُ وَلَايَةٌ أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ. الثَّانِي: الِاسْتِغَاثَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَرَدِّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ. الثَّالِثُ: الِاسْتِفْتَاءُ، بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي فَلَانَ بِكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ. الْخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدُعْتِهِ. السَّادِسُ: التَّعْرِيفُ فَإِذَا كَانَ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ كَالْعَمَشِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِهِ تَقْصًا وَلَوْ أُمِكنَ التَّعْرِيفُ بِغَيْرِهِ كَانَ أَوْلَى.

والغيبة من كبائر الذنوب محرمة بالإجماع، ودل على هذا ما رواه أبو داود عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عَرَضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ" [قال الألباني: صحيح]، والمعنى أن أكثر الربا وبلاً وأشدّه تحريراً إطالة اللسان في مسلم بغيبة أو احتقار أو نحوه، ويشهد لذلك ما رواه أبو داود عن المُسْتَوْرِدِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ - أَي بِسَبَبِ اغْتِيَابِهِ - فَإِنَّ اللَّهَ يَطْعِمُهُ مِنْهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كَسَى ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِنْهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [قال الألباني: صحيح]، فويل لمن يَتَكَسَّبُ باغتيال المسلمين؛ فلقمة الغيبة شر لقمة؛ فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن مسعود قال: "مَا النَّقَمَ أَحَدًا لُقْمَةً شَرًّا مِنْ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ، إِنْ قَالَ فِيهِ مَا يَعْلَمُ فَقَدْ اغْتَابَهُ، وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فَقَدْ بَهْتَهُ" [قال الألباني: صحيح].

وتدبر ما رواه أبو داود عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ - أَي يَغْتَابُونَهُمْ - وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ" [قال الألباني: صحيح]؛ مصيرٌ بائس، وعاقبة وخيمة.

وروى أبو داود عن عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: غَيْرُ مُسَدِّدٍ تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ" [قال الألباني: صحيح].

صحيح]، والمعنى أن كلمة واحدة من الغيبة لو خالطت ماء البحر لتغير بها طعمه أو ريحه لشدة ننتها وقبحها، وهذا من أشد الزجر.

وما أخرجه ابن حبان - وصححه - عن أبي هريرة في قصة ماعز ورجمه في الزنا، وإن رجلاً قال لصاحبه أنظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: **"كُلَّا مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ - لِحِمَارٍ مَيِّتٍ - فَمَا نَلْتَمَا مِنْ عَرَضِ هَذَا الرَّجُلِ أَشَدَّ مِنْ أَكْلِ هَذِهِ الْجِيفَةِ"** ، وهذا وعيد لمن اغتاب زانٍ تاب!

وأما رائحة المغتابين فنتة قذرة، أخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن عن جابر قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَاجَتْ رِيحٌ مُنْتَنَةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ"** ؛ وحري بمن قرأ هذا أن ينأى بنفسه عن هذه القذارة.

ومن تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته، وروى الترمذي عن ابن عمر قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: **"يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفَضِّ إِلَيْمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ"** [قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وقال الألباني: حسن صحيح]، أي ولو كان في بيته مخفياً من الناس.

أما الذي ينهى المغتابين ويرد عن المسلمين فله من الله الأجر العظيم، روى الترمذي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"** [قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وقال الألباني: صحيح]، وروى أبو داود عن سهل بن معاذ بن أنس

الجهني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ"**. أراه قال: **"بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ"** [قال الألباني: حسن].

٩- النَّمِيمَةُ

وهي نقل الكلام بين الناس لجهة الإفساد، وإلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين. وحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يُكره كشفه، والنام من شر الناس وأسوأهم حالاً وأحطهم منزلةً، روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهِينِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءَ بِوَجْهِهِ وَهَؤُلَاءَ بِوَجْهِهِ"**.

وهي من كبائر الذنوب ، وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع. قال تعالى: **"وَلَا تَطْغُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ"**، أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعناً عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة، وروى مسلم عن حذيفة أنه بلغه أن رجلاً ينم الحديث؛ فقال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ"**، وفي رواية أخرى عنده **"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ"**، والقتات هو النمام.

والنميمة من أسباب عذاب القبر وعذاب النار ، لما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرين فقال: **"أَمَّا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي**

السيرة الذاتية



الاسم: د. قاسم توفيق قاسم خضر

١- إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

٢- محاضر في جامعة القدس المفتوحة

٣- اعتقل خمس مرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي

٤- أمضى في معتقلاته سبع سنوات ونصف

العنوان: دير العصور - محافظة طولكرم - فلسطين

بريد الكتروني: gassem1962@gmail.com

تلفون: 09 / 2663027 جوال: 0599847039

التحصيل العلمي:

١- بكالوريوس وماجستير في أصول الدين من جامعة النجاح الوطنية.

٢- دكتوراه دراسات إسلامية من جامعة العالم الأمريكية

الأبحاث العلمية المنشورة:

١- حقوق الأسرى بين الإسلام والقوانين الدولية (لم ينشر بعد).

٢- المختصر في التعزية.

٣- فقه الأذان الذي زاده أمير المؤمنين عثمان

٤- شخصية فرعون في القرآن - رسالة ماجستير.

٥- منهج القرآن في تحرير الإنسان - رسالة الدكتوراه.

٦- مآثر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٧- آفات اللسان ... الوقاية والعلاج.

بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ". قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: "لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْيَسَا".

والنميمة من الفواحش، روى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعِصَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ"، والعصاة: الفاحش الغليظ التحريم.

وأختم بما رواه أحمد عن عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ". قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "فَخِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُعُوا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ". قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "فَشِرَارُكُمْ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعِنْتَ"، [قال الأرئوط: حسن بشواهد، وروى نحوه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: حسن]، أي يطلبون لهم الإثم والغلط.

والخلاصة

هذه بعض آفات اللسان التي حذر من النبي عليه الصلاة والسلام، قدّمتها في هذا البحث المختصر حتى لا تنزل بها الأقدام، والعاقلة من صان لسانه وانتغل بما ينفعه في الدنيا والآخرة.

تمت بحمد الله

